الرسالة

(١ كورنثوس ٤: ٩-١٦)

يا إخوةُ إنَّ اللهَ قد أبرَزنا نحنُ الرسلَ آخِري الناس كأنَّنا مجعولونَ للموت. لأنَّا قد صِرنا مشهداً للعالمِ والملائكةِ والبشر* نحنُ جهَّالٌ من أجلِ المسيحِ أمَّا أنتم فحكماءُ في المسيح. نحنُ ضُعفاءُ وأنتم أقوياءُ. أنتم مُكرَّمون ونحن مُهانون* وإلى هذه الساعة نحنُ نجوعُ ونعطَشُ ونَعْرى ونُلطَمُ ولا قرارَ لنا* ونتعَبُ عاملين. نُشتَمُ فنبارك. نُضطَهَدُ فنحتمِل* يُشنَّعُ علينا فنتضرَّع. قد صِرنا كأقذارِ العالمِ وكأوساخٍ يستخبثها الجميعُ إلى الآن* ولستُ لأُخجِلَكم أكتبُ هذا وإنَّما أعِظُكم كأولادي الأحبَّاءِ* لأنَّه ولو كانَ لكم ربوةٌ منَ المُرشدينَ في المسيحِ ليس لكم آباءٌ كثيرون* لأنّي أنا ولَدتكم في المسيحِ يسوعَ بالإنجيل* فأطلب إليكم أن تكونوا مقتدينَ بي.

الشيخ يوسف الهدوئي الآثوسي

وُلد الشيخ يوسف في ١٢ شباط ١٨٩٧ لأبوين ورعين (جورج وماريا كوتيس) من بسطاء الشعب في جزيرة ياروس اليونانية. أسمياه آنذاك فرنسيس. كان ما زال مراهقاً عندما توفّي والده، فاضطر للانتقال إلى مدينة بيريوس المرفأية من أجل العمل والمساهمة في إعالة والدته وإخوته. عمل لدى البحرية بداية ثم تنقّل بين التجارات الصغيرة، وحيثما عمل كان بالغ التشدد في الصدق والأمانة، ربما بتأثير من تربيته البيتية. في مطلع عشريناته بدأت تستهويه مطالعة سير القديسين وكتابات النسّاك. في الفترة عينها خُطب إلى فتاة مؤمنة فاضلة، علاقته بها كانت في منتهى العفاف، وقُبَيل الموعد المحدد لزواجهما توفيت بداء السلّ. الكتب الروحية كانت تعزيته، وصار يميل إلى العزلة في الصلاة كلما استطاع إليها سبيلًا، وإلى زيارة الكنائس والأديرة للسجود والتبرُّك، وصار قلبه يميل إلى التوحّد كلّياً في الله. ذات يوم ارتحل حاجّاً إلى دير القديس جيراسيموس في جزيرة كيفالونيا وهناك شهد بأم العين شفاءً عجائبياً باهراً فازداد شوقه إلى التوحّد، كذلك سمع من راهبة هناك أن القدّيس جيراسيموس رقد يوم عيد رقاد والدة الإله. إذذاك، وكما روى هو فيما بعد، وجد نفسه لا شعورياً يصلّي، بحرارة بالغة، أن يكون رقاده هو أيضاً، يوم هذا العيد العظيم. سنة ١٩٢١، وبعد أن جهّز شقيقته وزوّجها، وترك ما بقي له من مال لعائلته، انتقل إلى آثوس الجبل المقدس عاقداً العزم على الاستقرار هناك راهباً متنسكاً. في البداية تنقّل قليلًا حيثما قاده البحث عن أب روحي يحضنه، إلى أن شُرطن راهباً في أحد مناسك كاتوناكيا (إحدى أكثر نواحي الجبل المقدّس قسوة ووعورة) وقد رقد صبيحة ١٥ آب سنة ١٩٥٩، تماماً كما اشتهى وهو بعد شاب صغير في العالم.

منذ كان بعد في العالم، وحتى آخر حياته، تميّز الشيخ يوسف بقوة العزم وصلابة الإرادة، وبالجدية التي تنتج عنهما. منذ مال قلبه إلى النسك ابتدأ يروّض نفسه وكأنّه أصبح بالفعل راهباً، ومن يومه الأول في الجبل

العدد ٢٠١٤/٣٣

الأحد ١٧ آب

تذكار القديس الشهيد ميرُن

اللحن الأول

إنجيل السَحَر العاشر

المقدّس ابتدأ يجاهد في الصلاة والأصوام والسهر والطاعة ومحبّة الأخوة وترويض الذات، بجدية وحماسة بالغتين ما فارقتاه حتى آخر أيامه. قسوة الجهادات، وبالرغم من أنّه قطع فيها أشواطاً، لم تكن بالنسبة إليه غاية البتة بل مجرّد «وسيلة للتحرّر من ثقل الأرض»، كما كان يقول. الامتلاء كلياً من الله، منذ هذه الحياة، كانت غايته المنشودة. أما تشدّده في الجهادات، بما فيها نظامه الصارم جداً في الصوم والسهر، فكان بالنسبة إليه للوقاية من «شيطان الإهمال مُبعِد المؤمن عن الله». لا بد من التوقّف لحظة عند هذه الفكرة إذ إنّها لا تخصّ النساك والرهبان وحسب، بل المؤمن عموماً أينما كان وكائناً مَن كان. خطورة الإهمال أو التهاون أو التراخي أنّه يتسلّل إليك رويداً رويداً، وعبر حجج منطقية، فتجد نفسك وقد صرت ــ من حيث لا تدري ــ بعيداً عن الله بارداً.

طيلة حياته أحبّ الشيخ يوسف التواضع بل وعشقه وجدّ في إثره بلا هوادة وحتى رمقه الأخير. التواضع بالنسبة إليه هو السبيل الأوحد إلى الكمال، والتواضع هذا ليس بالكلام، أي أن يقول الإنسان «أنا خاطئ» (ولو كان يعنيها بصدق). أن يبلغ الإنسان هذا التواضع هو أن يعي أنّه «لا شيء»، كتلك الـ«لا شيء» التي كانت قبل أن خلق الله العالم. أي أن تُفرغ ذاتك كلّياً، من ذاتك ومن كلّ ما تجمّع عليك من هذا العالم، فتصبح الـ«لا شيء» فيعيد الله خلقك، ليعود إذذاك «كل شيء حسن». ومع أنّه لم يكن لاهوتياً بالمعنى الأكاديمي للكلمة، ولا حتى «مثقّفاً» بالمعنى المُتعارَف عليه، أتقن الشيخ يوسف الهدوئي اللاهوت الحقيقي المُعاش لا النظري «كما يتقن الحِرَفي حِرفَته»، على حد تعبير أحد الشيوخ أبنائه. قراءة الأسفار الإلهية وكتابات الآباء لازمته على الدوام. عن هذه كان يقول «المثابرة في قراءة الأسفار المقدّسة وكتب الآباء هي كالنظر في مرآة روحية بالغة النقاء. فهي تُريك خطاياك وأهواءك فتمكّنك إذذاك من تصحيح مسارك وتحقيق توبتك. إنها كالنور في الظلمة». كان يشدّد على ضرورة القراءة يومياً في الأناجيل الشريفة، وغالباً ما كان يقول لزوّاره «ضع كتاب عهد جديد صغيراً في جيبك لكي ترجع إليه وتقرأ فيه كلّما تسنّى لك بعض الوقت في نهارك. أنت تقرأ والله ينيرك ويعلّمك كيف تحفظ وصاياه، ينمّي المحبة فيك وينقّيك ويجدّد فيك التوق إلى الملكوت».

جدّيته وشجاعته في ترويض الذات والسعي إلى الله جعلتا الشيخ يوسف الهدوئي يعيش حسّياً، مراراً، اختبار الحضرة الإلهية لا سيّما وأنّه تعمّق كثيراً في الصلاة القلبية. هذه الخبرات جعلته يصبح من ذوي «الإيمان اليقين»، أي الإيمان المُختَبَر أو عندما يصبح المرء مؤمناً لا بعقله وحسب بل بكلّ كيانه. بمعنى آخر، وبحسب تعبير الشيخ، «عندما يصبح العقل عينين روحيتين تعاينان الله». الإيمان بالعقل هو مرحلة لا بد منها، بلا شك، بل وينبغي تنقيته على الدوام وتغذيته بالمعرفة وتنميته. لكن، ولأن العقل البشري محكوم بمحدودية المنطق البشري، لا بد من الانتقال إلى مرحلة الاختبار، بقدر ما يسمح به الله وهو وحده العالِم بحال كل واحد وحاجته وطاقته. فكلّما ازداد في المرء هذا اليقين الكياني كلّما تحرر إيمانه من خطر الشكوك التي تأتي طبيعياً من النشاط الفكري والتي غالباً ما تزعزع الإيمان وأحياناً تُفنيه. «إن

الإنجيل

(متى ١٧: ١٤–٢٣)

في ذلك الزمانِ دنا إلى يسوعَ إنسانٌ فجثا له وقال يا ربُّ ارحمِ ابني فإنَّهُ يُعذَّبُ في رؤوسِ الأهِلَّةِ ويتألَّم شديداً لأنَّه يقعُ كثيراً في النار وكثيراً في الماء* وقد قدَّمْتُهُ لتلاميذك فلم يستطيعوا أنْ يَشْفوهُ* فأجاب يسوع وقال: أيُّها الجيلُ الغيُر المؤمنِ الأعوجُ إلى متى أكونُ معكم. حتى متى أحتمِلُكم. هلمَّ به إليَّ إلى ههنا* وانتهرهُ يسوعُ فخرجَ منهُ الشيطانُ وشُفي الغلامُ من تلكَ الساعة* حينئذٍ دنا التلاميذُ إلى يسوعَ على انفرادٍ وقالوا لماذا لم نستطِعْ نحن أنْ نُخرِجَهُ* فقال لهم يسوع لِعدمِ إيمانِكم. فإنّي الحقَّ أقولُ لكم: لو كانَ لكم إيمانٌ مثلَ حبَّةِ الخردلِ لكنتم تقولون لهذا الجبلِ انتقِلْ من ههنا إلى هناك فينتقِلُ ولا يتعذَّرُ عليكم شيءٌ* وهذا الجِنس لا يخرجُ إلاَّ بالصلاة والصوم* وإذ كانوا يتردَّدون في الجليل قال لهم يسوع إنَّ ابنَ البشر مزمعٌ أن يُسلَّمَ إلى أيدي الناس* فيقتلونه وفي اليوم الثالث يقوم.

تأمل

«هذا الجنس لا يخرج إلاّ بالصلاة والصوم».

لاحظ كم من الخيرات تأتي من هاتين الفضيلتين، أي الصلاة والصوم. فالذي يصلّي ويصوم كما يجب لا يحتاج إلى أمور كثيرة، والذي لا يحتاج إلى أمور كثيرة لا يكون محباً للمال، والذي لا يحبّ المال يميل أكثر من غيره إلى عمل الإحسان.

مَن يصوم هو متحرّرٌ من الأثقال، له أجنحة ويصلّي بقلب نقيّ، يمحو الرغبات الشريرة ويستعطف الله ويحطّ من تكبّر نفسه. لذلك كان الرسل يصومون دائماً. فمَن يصلّي ويصوم له أجنحة مزدوجة أخفّ من الرياح، لأنه لا يتثاءب أثناء الصلاة ولا ينعس، الأمر الذي يعاني منه الكثيرون. عنده قوّة أكبر من النار وهو يسمو فوق الأمور الأرضية. إنسان كهذا هو العدوّ الأكبر والمحارب الأكبر للشياطين، إذ ليس من شيء أقدر ممّن يصلّي بصدق ونقاوة.

سيئات الرفاهية: إن كان جسدك ضعيفاً ولا تستطيع أن تصوم باستمرار، يمكنه أن لا يكون ضعيفاً من أجل الصلاة كما يمكنه أن يزدري بشهوة البطن. لأنك إن كنت لا تستطيع أن تصوم كما يجب، يمكنك على الأقل أن لا تترفّه في اشتدّت عليك التجارب، أمن صراعات فكرية أو من قسوة الدنيا عليك، لا تقل أين هو الله؟ الله هنا، في كل مكان، وفي كل وقت، ولن يدعك تهلك. فقط اصبر، ودع الله ينمّيك»، يقول الشيخ القدّيس.

صلاة الغروب

+ الطلبة السلامية الكبرى:

بعد تذكرنا الله وأعماله العظيمة، وإعلاننا أنه مصدر كل خير ومانح كل الأمور الصالحة، نقول «بسلام إلى الرب نطلب». نرفع معاً الطلبة السلامية الكبرى متحدين وطالبين السلام من الله فيما بيننا. تسمى هذه الطلبة «السلامية الكبرى» لأنها تبدأ بعبارة «بسلام إلى الرب نطلب». وهي تشير إلى ذلك الوضع الداخلي المفعم بالسلام الروحي والذي يُعتبر المسلّمة الأساسية ليستجيب الرب طلبتنا، والذي هو في آن معاً ثمر شركتنا في الروح القدس. هذه الطلبات تشمل جميع نواحي العلاقات الروحية والحياتية لدى المؤمنين، كل الحاجات والاضطرابات التي تواجه الإنسان في حياته على هذه الأرض، وأين له أن يستودع هذه الأمور إلا عند أبيه إله الرحمة والرأفات.

عن الطلبة السلامية الكبرى يكتب القديس سمعان التسالونيكي: «السلامية» لأن الطلبات تطلب السلام من الله ليحل بيننا، و«الطلبة» لأننا نرفع الطلبات معاً متحدين. هذه تعبّر عن سلامنا مع الله، لأننا نقولها بإيمان وضمير صادق... تعبّر عن سلامنا مع كل الإخوة أيضاً. نتحرّر من الغضب تجاه الآخرين ونصلّي، كما يقول الرسول بولس: «فأريد أن يصلّي الرجال في كل مكان رافعين أيادي طاهرة بدون غضب ولا جدال» (١ تيم ٢: ٨). يقول الرب: «سلاماً أترك لكم. سلامي أعطيكم، ليس كما يعطي العالم أعطيكم أنا» (يو ١٤: ٢٧). فإننا بحاجة إلى هذا السلام في داخلنا قبل أي شيء، وإلى الصلاة بهذا السلام عندما نقول «بسلام إلى الرب نطلب»، لأن السلام الحقيقي يمنحه الله وحده، ولأن الله هو في سلام معنا ورحمته الغزيرة أثّرت في خلاصنا، يضيف الكاهن «من أجل السلام الذي من العلى وخلاص نفوسنا...». يكفي أن ينظر الله إلينا بعين الرأفة والسلام لكي نتمتّع بالخلاص فوراً. ثم يطلب الكاهن السلام الشامل: «من أجل سلام كل العالم». فالله هو مانح السلام الذي نتوق إليه. ويتابع الكاهن «وحُسن ثبات كنائس الله المقدسة واتحاد الكل»، السلام الذي تطلبه الكنيسة لتتابع عملها بسلام وإيمان وهدوء. وهذا ينسحب على المؤمنين المتحدين بسلام الله والإيمان والمحبة.

ثم يذكر البيت المقدس (الكنيسة) والداخلين إليه بورع وغيرة والمجتمعين باتفاق وتقوى ليقدّموا لله مما أعطاهم من كَرَمِهِ الإلهي.

ثم يذكر الأسقف كونه صورة المسيح ومقيم الكهنة وحافظ الإيمان المسيحي، والحكام لأن الكنيسة تصلّي حافظة وصية بولس بالصلاة تحديداً للملوك وذوي المراتب العالية لكي يؤازرهم الله في حروبهم ويهزموا أعداءهم، ولكي نعيش نحن أيضاً بهدوء وسلام حافظين كل أمور الإيمان والتقوى بحسن عبادة وترتيب.

وبما أننا بحاجة للحماية، مع الحكام الذين يحامون عنا، نصلّي لأجل المدينة التي تحمينا ولأجل كل المدن الأخرى - بدافع المحبة المسيحية. ولأجل كل البلاد، لأن السكان يقطنون القرى والبلدات

وليس فقط المدن. ولأن هدف المدن هو حفظ سكانها نضيف: «والساكنين فيها بإيمان...». ولأننا بحاجة إلى الأمور التي تحيي أجسادنا، لأن أجسادنا، ونحن كلنا لله، نطلب «لأجل اعتدال الأهوية...» من أجل صحة أجسادنا، ومن أجل «خصب الأرض بالثمار...»، لأننا بحاجة إلى القوت؛ «وأوقات سلامية» تُحفظ فيها حياتنا ونمط عيشنا، لأن الأزمنة المضطربة والشدائد تُسبب المصائب والدمار. ولأن خبرات الإنسان وحاجاته متعددة، ونمط الحياة يختلف من إنسان إلى آخر بحسب الظروف، تصلّي الكنيسة للجميع: «من أجل المسافرين بحراً وبراً (وجواً) والمرضى - بأي مرض كان - والمتعبين والأسرى والذين في خطر، هؤلاء تجمعهم الكنيسة في طلبة واحدة وتصلّي لخلاصهم. هل تلاحظ أن الكنيسة تتشبه بالله في التفكير بكل واحد؟ أي أنها تصلّي للجميع. ثم، وبعد أن دعت الكنيسة المؤمنين للصلاة من أجل الخلاص توصيهم باستدعاء نِعَم الله على بعضهم البعض بحسب الوصية الإلهية، تتوجه الطلبة إلى الله الذي وحده يخلّص الكل وتقول: «اعضد» لأنك وحدك عاضدنا نحن الضعفاء والفانين؛ «وخلّص» لأنك وحدك مخلّص اليائسين والذين في الأخطار؛ «وارحم» لأنك ترحمنا رغم معرفتك بأننا غير مستحقين، لأنك بطبيعتك رحوم؛ «واحفظنا» لأن الذين يتآمرون علينا ويضطهدوننا هم كثر، وأنت وحدك تحفظنا بنعمتك ليس بسبب أعمالنا وطلباتنا، لأننا ملوّثون بالخطيئة وأعمال غير نقية، لكن بسبب نعمتك وحدك. إنّ تجسد ابنك الوحيد مخلّصنا لهو أعظم هدية، وتسمّى أيضاً نعمة...».

يجيب الشعب على الطلبة السلامية الكبرى بـ «يا رب ارحم». هذا الجواب البسيط يحمل كل اللاهوت وكل الفكر المسيحي. كلمة إرحم مشتقة من الفعل رحم وهذا الفعل بالعبرية Hesed يعني افتقاد ورحمة وصلاح ورأفة وخير وعدل، وغفران. أي إننا نطلب من الله أن يكون كما هو: الرؤوف والصالح ومعطي الخيرات والرحوم والمحب البشر والغافر الخطايا والحنون... نطلب من الله أن يسكب علينا كل مراحمه التي تشمل كل شيء.

تنتهي الطلبة السلامية بإعلان عقائدي ثالوثي: «لأنه ينبغي لك كل تمجيد وإكرام وسجود أيها الآب والإبن والروح القدس...» لأننا نحن نعبد الثالوث الأقدس، الإله الواحد في ثلاثة أقانيم.

هنا تأتي «آمين» الشعب لتؤكد حقاً سعيه وراء سلام الله واستعداده لأن يكون كل فرد بيتاً له، وأنه يضع رجاءه على الله وحده، وأن هذه الطلبة هي طلبة هذا الشعب المؤمن: آمين، حقاً، ليكن.

ترقية كاهنين

في مناسبة عيد تجلّي الرب ترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس صباح الأربعاء ٦ آب ٢٠١٤ خدمة القداس الإلهي في كاتدرائية القديس جاورجيوس في ساحة النجمة، وخلال القداس رقّى سيادته كلاً من الأبوين يوستينوس ديب وقسطنطين نصار إلى رتبة متقدّم في الكهنة.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb

عيشك. وهذا ليس بأمر قليل ولا هو ببعيد جداً عن الصوم إنما هو كافٍ لكي يسيطر على رداءة الشيطان الذي لا شيء مستحب عنده أكثر من الحياة المترفّهة والسكر لأنها مصدر وأمّ للشرور كلّها. الرفاهية هي التي قادت الإسرائيليين إلى الوثنية، هي التي قادت أهل سدوم إلى الممارسات الشاذة، إذ يقول: «هذا كان إثمُ سدوم: الكبرياء، الحياة المترفة مع الشبع من الخبز والرفاهية» (حز ١٦: ٤٩).

إن حياة الرفاهية هي التي قادت إلى الهلاك جمعاً كثيراً من الناس واسلمتهم إلى جهنم، لأنه أي شرّ لم تصنعه الحياة المترفة؟ تجعل الناس خنازير وأسوأ من الخنازير، لأن الخنزير يتمرّغ في الأوساخ ويتغذّى منها بينما المترفّه يجلس أمام المائدة التي هي أشنع من مائدة الخنازير. زد على ذلك ما ينتج عنها من الممارسات اللاأخلاقية والعلاقات الشاذة. إنسان كهذا لا يميّزه شيء عن إنسان فيه شيطان لأنه يتصرف مثله دون خجل وكشبه مجنون. مَنْ به شيطان نرحمه بينما هذا نتجنبه ونزدري به.

القديس يوحنا الذهبي الفم